محاضرة حول الصحافة المطبوعة في الجزائر بعد الاستقلال:

مرت الصحافة الجزائرية بعد الاستقلال بمحطتين هامتين وفقا للنظام السياسي لكل مرحلة، و هما مرحلة الأحادية الإعلامية، و مرحلة التعددية الإعلامية.

-فترة الأحادية الإعلامية 1962-1965:

تمتد هذه الفترة لأقل من ثلاث سنوات، و هي امتداد للفترة السابقة باعتبار أن الوضع القانوني و الإعلامي في الجزائر لم يتغير بعد الاستقلال و يبقى العمل جاريا حسب التشريع الفرنسي في جميع الميادين التي ليس فيها تعارض مع السيادة الوطنية حسب قانون 31 ديسمبر 1962، و بالفعل قد صدر غداة الاستقلال عدد كبير من الصحف يملكها جزائريون لا علاقة لهم بالحكومة و لا بالحزب و بدأت تمارس نشاطها بكل حرية بحيث أصبحت توجد ثلاث أنواع من الصحف:

صحف تابعة للحكومة.

-صحف تابعة للحزب.

صحف تابعة للملكية الخاصة.

و كان ذلك بالموازاة مع قرار المكتب السياسي لجبهة التحرير(18 سبتمبر 1963) القاضي بتأميم اليوميات الفرنسية، التي استمرت في الصدور في الجزائر بعد الاستقلال، مع الإبقاء على تسويق الصحف الفرنسية الصادرة في باريس مع وضع عراقيل جديدة أمام استيرادها منذ 1967.

لكن الأمر في هذه المرحلة يختلف في وصف العلاقة بين السلطة و الإعلاميين إذ خلال الفترة 1962 إلى 1965 لم تكن الصحف تابعة لا للحزب و لا للقانون لكن رئيس الدولة بن بلة الذي جمع عدة سلطات في حوزته من بينها وزارة الإعلام التي حولها إلى مديرية أضفت حالة من السيطرة المطلقة رغم أن المادة 19 من دستور 10 سبتمبر 1963 تنص على أن الدولة تضمن حرية الصحافة و باقي وسائل الإعلام، إلا أنه رغم وضوح هذا البند، بقي صوريا و لا يحل صفة الالتزام.

ما يلاحظ على هذه المرحلة هو استمرارية صدور صحف باللغة العربية بالموازاة مع صحف باللغة الفرنسية،كما أن الدولة في هذه المرحلة عبرت عن تحكمها الكلي في المضامين و المحتويات المقدمة في الصحف لتكون أداة في يد السلطة و تخدم نظام الدولة .

المرحلة الثانية 1965-1979:

فقد تميزت بتطور و توسع معتبرين و بظهور أول لائحة خاصة بالإعلام أوكلت للصحافة دور الخدمة العمومية و قننت تبعيتها للحكومة، كما تميزت هذه الفترة بتنفيذ قرارات تحويل le peuple اليومي في 1965.

و في هذه المرحلة عرفت الجزائر صدور صحف بعناوين عربية و فرنسية هذه من جهة من جهة أخرى متنوعة المضامين و المحتويات، منها صحف سياسية، رياضية،و دينية...الخ

و ظلت يوميات المرحلة الأولى على حالها بعد اختفاء يومية الحزب الشيوعي مع ظهور أهم أسبوعية باللغة الفرنسية عرفتها الجزائر بعد الاستقلال actualité Algérie في أكتوبر عام 1965 و تأسيس أول أسبوعية رياضية بالفرنسية el hadef و أول مجلة دينية خاصة بالفرنسية Que sais je de l'Islam .

فنلاحظ أن أهم ما يميز هذه الفترة هو محاولة إقامة نظام اشتراكي للإعلام حيث أن أول قرار اتخذته الحكومة الجزائرية بعد 1965 هو المزيد من السيطرة على الصحافة المكتوبة و توجيهها حتى تصبح أداة من الأدوات التي تستعملها الحكومة لتعزيز سياستها و تضخيم أعمالها الايجابية مع تغطية السلبية منها .

المرحلة الثالثة 1979 إلى 1988:

و تمتد من سنة 1979 إلى 1988 و هي فترة حكم الرئيس السابق الشاذلي بن جديد، و التي عرفت فيها الجزائر أحداث 5 أكتوبر 1988 و التي تعد منعرجا هاما أفرز واقعا سياسيا جديدا أدى إلى حدوث تغيير جذري في المجال الإعلامي.

و قد تميزت بتوضيح الوضع القانوني للإعلام (قانون رقم 82 الصادر يوم 1982/02/06) بظهور بعض المجلات الإسلامية الخاصة و الرياضية العامة و يوميتين مسائيتين عام 1985 هما المساء بالعربية و الآفاق Horizons بالفرنسية، مثلت كلها بعض الانفتاح الإعلامي و التحول المحتشم في المسار السياسي للبلاد و السماح المحدود بعرض المشاكل الاجتماعية للمواطنين.

نلاحظ أن قانون الإعلام الجزائري لسنة 1982 جاء لتنظيم الصحافة من حيث هي ممارسة مهنية بينما كانت القوانين السابقة تهدف إلى تنظيم المؤسسات الصحفية المؤسسة و الجديدة و تضمن كذلك اللائحة الإعلامية التي وافق عليها المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني برنامج عمل تحسين وضعية الإعلام من الناحيتين المادية و النوعية.

و في هذه الفترة استمر تفضيل الإذاعة و التلفزيون على الصحافة المكتوبة حيث بلغت حصة الإذاعة و التلفزيون من الميزانية الحكومية 75،74 % مقابل 17،61% لوكالة الأنباء و 6% لمجموع الصحافة المكتوبة خلال المخطط الخماسي الأول(1980-1984).

المرحلة الرابعة : و التي امتدت من فبراير 1989 إلى 1991 فهي و إن كانت تتويجا منطقيا للمرحلة السابقة فإنها لم تكن تظهر للوجود لولا أحداث أكتوبر 1988 الأليمة التي تعتبر منعطفا في تاريخ الجزائر السياسي و بالتالي في جميع الميادين الأخرى و منها الإعلام المكتوب .

و كان من أثر هذه الأحداث دستور فبراير 1989 الذي سمح بتأسيس الجمعيات ذات الطابع السياسي، تلاه في 3 أفريل 1990 قانون الإعلام الذي فسح المجال لإنشاء الصحف الخاصة و الحزبية و تدعيم الإعلام العمومي الجهوي بإصدارات جديدة، و الملاحظ أن الصحف و المجلات العمومية تأثرت بشكل كبير بمنافسة الصحافة الحزبية و الخاصة، مما أدى إلى تراجع كبير في مقروئيتها بل إلى اختفاء بعضها و خاصة صحف المنظمات الجماهيرية التي تخل عنها الحزب العتيد و هجرها صحفيوها إلى عناوين أخرى.

أي أن الصحافة في هذه الفترة عرفت تعددا و تنوعا و فسحت المجال لظهور أشكال جديدة متمثلة في الصحف الخاصة، ما يؤكد أن الجزائر شهدت انفتاحا إعلاميا غير مسبوق في مجال الصحافة المكتوبة فقط في حين قطاع السمعي البصري بقي على حاله .

لكن التعددية الإعلامية تم تبنيها رسميا في المنشور رقم 4 لرئيس الحكومة مولود حمروش في 19 مارس 1990 و بموجبه ترك الحرية للصحفيين العاملين في المؤسسات الإعلامية العمومية باختيار إما البقاء في القطاع العام أو تأسيس مؤسسات صحفية مستقلة في شكل شركات مساهمة أو الالتحاق بصحف الجمعيات ذات الطابع السياسي... و جرى تحديد أنواع الدورات الجديدة الممكن إصدارها مستقبلا في ظل التعددية على النحو التالي :

-جرائد مستقلة ذات صدور دوري.

- مجلات ذات طابع علمي و ثقافي.

- مجلات متخصصة مرتبطة بالنشاطات القطاعية للدولة.

- مجلات و دوريات واسعة الانتشار.

عرف ظهور عدة جرائد يومية و أسبوعية باللغة العربية و الفرنسية منها ما بقي في الساحة الإعلامية حتى يومنا هذا،و منها ما اختفى نتيجة ظهور مشاكل مهنية مادية و حتى سياسية و نذكر منها .

El Watan في 10-10-1990.

كما ظهرت يومية Le Soir d'Algerie في 5 سبتمبر 1990.

الخبر و ظهرت في 1 نوفمبر 1990 ، و تعتبر أول يومية عربية خاصة تمثل اليوم أكبر سحب.

-الشروق كانت تحقق سحبا يصل إلى 4000000 ، تعتبر أول أسبوعية تستعمل الألوان في صفحاتها اشتهرت بمعالجتها النقدية الساخرة للمشاكل الاجتماعية.

المرحلة الخامسة: التي تمتد من 1992 إلى 1997:

أي تشمل مرحلة الطوارئ و الأزمة السياسية، التي عاش الكثير من آثارها المدمرة الشعب الجزائري بما فيه قطاع الإعلام المكتوب

و تجدر الإشارة هنا إلى أن أكبر متضرر من هذه الأزمة كان صحفيو الجرائد و المجلات العربية، كما تضررت تبعا لذلك صحفهم، إذ لم يصمد منها سوى بعض الأسبوعيات و الجرائد الجهوية، بالإضافة طبعا إلى أهم يومية هذه المرحلة الخبر، التي غيرت منذ مدة خطها الافتتاحي ... و مما دعم هذا التوجه في هذه المرحلة عودة استيراد بعض صحف فرنسا إلى الجزائر و صدور العديد من الصحف الصفراء و صحف الهروب من الواقع.

و مع نهاية **هذه المرحلة بدأت مرحلة انتقالية جديدة (1998-2004)** تميزت باستلام بوتفليقة رئاسة الجمهورية (1999) كما شهدت بوادر انفتاح إعلامي تدريجي باتجاه تخفيف الوطء على الصحف العربية

المعارضة للعلمانية الاستئصالية، مما زاد من صدور عدد اليوميات و شجع البعض على إنشاء صحف جديدة من هذا الطراز أو إعادة بعث عناوين قديمة.

و تميزت هذه المرحلة بسيطرة اليوميات على باقي النشريات من ناحية السحب حيث وصل سحبها إلى 51 مليون و 200 ألف نسخة يوميا مع أن عددها 35 يومية فقط، و بالرغم من الزيادة الملحوظة لعدد الصحف الصادرة عام 1999 إلا أن الإعلاميين أنفسهم قد دخلوا في صراعات زادت من إنهاكهم و تشتيت رؤية ثابتة لهم تجاه قرارات السلطة و مواقفها اتجاه قضايا هامة للبلاد، و لعل أهم مظاهر هذا التذبذب مبني على رسوبات المرحلة السابقة من الفوضى و العنف السياسي.

أما المرحلة الموالية :(2005-2012) فيشكل حدها السياسي الاستفتاء على مشروع المصالحة الوطنية(2005/09/29)، و الذي رافق اتجاه الخريطة السياسية و الإعلامية الجديدة نحو الاستقرار و التوازن باتجاه التعديل الرسمي لكفة معاملة السلطات الإدارية و السياسية و الأمنية للصحافة العربية غير الاستئصالية و المؤيدة للمصالحة خصوصا...و أصبحت الصحف الصادرة بالعربية تفوق بكثير الصحف الصادرة بالفرنسية(بثلاثة أضعاف تقريبا) و ذلك بقيادة يوميتي الشروق اليومي(بين 700 ألف و مليون نسخة)و الخبر قرابة (500 ألف نسخة) أما حدها الثاني 2012 فيشكله صدور قانون الإعلام الجديد الضامن نظريا حرية التعبير ة تعدده.